

قسم الاديان المقارنة

المرحلة : الاولى

مدرس المادة : م.م. باسم محمد حسن

المحاضرة التاسعة

ترجمة القرآن الكريم

الحكمة من إِنْزَالِ الْقُرْآنِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

البحث في إمكانية ترجمة القرآن الكريم ليس أمراً نظرياً أو افتراضياً، وإنما هو موضوع واقعي شغل العلماء في كثير من البلاد الإسلامية منذ مطلع هذا القرن، أن هذه الفكرة إنما أثارها أعداء الإسلام من المستشرقين والمبشرين؛ لتمزيق أوصال العالم الإسلامي، وتشويه مبادئ الإسلام ومعانيه.

وظهرت في العالم ترجمات كثيرة ، وبلغات متعددة شرقية وغربية، وزعم الذين قاموا بها أنهم نقلوا القرآن الكريم من اللغة العربية إلى هذه اللغات، فجاءت مليئة بالأخطاء الفاحشة، بعيدة عن تحقيق مقاصد النص العربي بعد الأرض عن السماء.

ومهمتنا في هذا البحث تتركز في ذكر الحكمة من إِنْزَالِ الْقُرْآنِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

العربية وفي الأمة العربية وإيضاح معنى الترجمة، وأسباب استحالتها، وبيان حكمها الشرعي، والنتائج الخطيرة المترتبة عليها، وما يغنى عنها، والله ولي التوفيق.

أولاً: الحكمة من إِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ:

اصطفى الله مهداً صلّى الله عليه وسلم ليكون الرسول الخاتم بين يدي الساعة، واختار الله قومه العرب ليكونوا حملة الرسالة ودعاة الإسلام إلى الإنسانية جموعاً، وكانت الأمة العربية عند انتشار فجر الإسلام تعيش جاهلية جهلاء في معتقداتها وعاداتها وحروبها، ولكنها وصلت إلى حضارة لغوية متميزة، يجعلها أهلاً لنزول الوحي الإلهي المعجز بسانها، قال تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ** [إِرَاهِيمٌ: ٤].

ومن هنا كانت معجزة الرسول الكبرى القرآن الكريم، من جنس ما اشتهر به قومه من الفصاحة والبلاغة، فجاء يتحداهم في نفيس بضاعتهم، وأبرز أسباب شهرتهم وتفوقهم. ونستطيع أن نحدد الحكمة من اختيار إِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بأمرتين:

الأول: ما تتمتع به اللغة العربية من مقومات اللغات الحية وعناصر قوتها واستمرارها، وذلك من حيث وفرة مفرداتها بالأصلية والاشتقاق، أو بالحقيقة والمجاز. أو من حيث قبولها للتطور والتقدم الحضاري، أو من حيث مرونة أساليبها، وصلاحيتها لكل ما يراد منها، أو من حيث فصاحة ألفاظها وبلاغة تراكيبها.

الثاني: لو تنوّع النظم المنزّل على رسول الله صلّى الله عليه وسلم حسب اختلاف ألسنة الأمم، لأدى هذا إلى الاختلاف والتنازع، ولتطرق التحرير إلى الكتاب المنزّل، بل يقرب من المحال أن

يُتّحد هذا المنزل مع تعدد اللغات، وتنوع اللهجات، وتعدد الخصائص والدلالات، بالنسبة لاستبطاط الأحكام، ورسم المنهج، ومعرفة الحدود، وإحکام جميع العبادات والتشريعات.

ثانياً: **معنى الترجمة لغة وشرعها:**

أ- الترجمة في اللغة تفسير الكلام بلغة غير لغته.

ب- أما الترجمة في العرف والاصطلاح:

فهي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده.

وقيل: هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية إلى الجمل والمعاني الكلية.

ونخرج من هذا التعريف الاصطلاحي بالملحوظات التالية:

١ - الترجمة نقل للكلام، فب بينما يكون الكلام في لغة من اللغات، يتحول عن طريق الترجمة إلى لغة أخرى.

٢ - يشترط في الترجمة الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، ولذلك يتم فيها استيفاء الكلام المترجم كلمة كلمة، والملاءمة بينها وبين المعنى الأصلي للنص.

٣ - نقل الكلام من لغة إلى أخرى.

٤ - يفهم من الترجمة أنها كالأصل تقوم مقامه وتأخذ اسمه.

تقسيم الترجمة:

وتتقسم الترجمة بهذا المعنى العرفي إلى قسمين:

أولهما: **الترجمة الحرفية:** وتكون بنقل كل كلمة عربية إلى نظائرها

من اللغة المترجم إليها، مع مراعاة النظم والترتيب في الجملة، دون النظر إلى المعنى، وتسمى الترجمة اللفظية أو المساوية. ثانيهما: الترجمة المعنوية: تكون بأن يلم المترجم بمعنى الجملة العربية، ثم يصوغه في جملة من اللغة الأخرى، دون أن يقيد نفسه بترتيب الكلمات أو مساواتها كما في الأصل. وتسمى الترجمة التفسيرية.

وإذا كانت الترجمة الحرفية مستحيلة، لوجود الاختلافات الكبيرة بين اللغات من حيث ترتيب الجملة، وعدم توفر المفردات المقابلة المساوية. فإن الترجمة المعنوية أيضاً متعدرة ويدخلها خلل واضح، ونسوق إثبات ذلك مثال

ما فعله (مارماديوك) مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية في قوله تعالى: **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ** [الأبياء: ١٨] حيث ترجم كلمة (فيدمغه) بمعناها الأصلي وهو (فيشق رأسه) علماً أن القرآن الكريم يستعملها في هذه الآية ويريد منها المعنى المجازي وهو (الغلب).

ويترجم قوله تعالى: **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبُسْطِ** [الإسراء: ٢٩] بمدلولها الأصلي، وهو جمع اليد إلى العنق وإطلاقها، فيقول: لا تجعل يدك مربوطة إلى رقبتك ولا تتركها من غير ربط، ولا شك أن التشويه والمسخ ظاهر في هذه الترجمات التي ما أريد بها وجه الله ولا هداية الناس.

الفروق بين الترجمة والتفسير

لقد مر معنا أن الترجمة هي: التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام

آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده. أما التفسير فهو لغة: الإيضاح والتبيين. واصطلاحاً: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

ومن هذين التعاريفين لكل من الترجمة والتفسير، نتبين أن الترجمة سواء كانت حرفية أو معنوية - غير التفسير مطلقاً - وسواء أكان بلغة الأصل، أم تفسيراً بغير لغة الأصل، وذلك من وجهين:

الأول:

الترجمة تعني: الإحاطة بمعنى الكلام وصبه في ألفاظ لغة أخرى، بينما التفسير يعني: تبيين وتوضيح معنى الكلام على حسب فهمه. وكأن المترجم يقول:

معنى هذا الكلام هو عين معنى الآية، بينما المفسر يقول: معنى هذا الكلام هو كذا ...

الثاني:

وفي الترجمة اهتمام بالكلمة والأداة التعبيرية والصياغة، بينما في التفسير اهتمام بنقل المعنى القريب أو البعيد المقصود من الألفاظ. ومع وضوح هذا التفريق بين الترجمة والتفسير، ولمنع وقوع أي اشتباه أو خلط في هذا الأمر، هناك أربعة فروق وهي:

الفارق الأول:

أن صيغة الترجمة صيغة استقلالية يراعى فيها الاستغناء عن

أصلها وحلولها محله، أما التفسير فإنه قائم أبداً على الارتباط بأسله، بأن يؤتى مثلاً بالمفرد أو المركب، ثم يشرح شرحاً متصلة به، ثم ينتقل إلى جزء آخر مفرد أو جملة، وهكذا من بداية التفسير إلى نهايته بحيث لا يمكن تجريد التفسير وقطع وشائج اتصاله بأسله مطلقاً.

الفارق الثاني:

أن الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد، أما التفسير فيجوز بل يجب فيه الاستطراد. وذلك لأن الترجمة مفروض فيها أنها صورة مطابقة لأصلها حاكية له، فمن الأمانة أن تساويه بدقة من غير زيادة ولا نقص، حتى لو كان في الأصل خطأً لوجب أن يكون الخطأ عينه في الترجمة، بخلاف التفسير فإن المفروض فيه أنه بيان لأصله وتوضيح له. وقد يقتضي هذا البيان والإيضاح أن يذهب المفسر مذاهب شتى في الاستطراد توجيهاً لشرحه، أو تتويرًا لمن يفسر لهم، ويظهر ذلك في شرح الألفاظ اللغوية، وخاصة إذا أريد بها غير ما وضعت له، وفي الموضع التي يتوقف فهمها على ذكر مصطلحات أو سوق أدلة أو بيان حكمة.

الفارق الثالث:

أن الترجمة تتضمن - عرفاً - دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، أما التفسير فإنه قائم على الإيضاح كما قلنا، سواء أكان هذا الإيضاح بطريق إجمالي أو تفصيلي. متداولاً كافية المعاني والمقاصد أو مقتضاها على بعضها دون بعض طوعاً للظروف التي يخضع لها المفسر ومن يفسر لهم.

الفارق الرابع:

أن الترجمة تتضمن - عرفا - دعوى الاطمئنان إلى أن جميع المعاني والمقاصد التي نقلها المترجم، هي مدلول كلام الأصل وأنها مراده لصاحب الأصل منه.

والتفسير ليس كذلك، بل المفسر تارة يدعي الاطمئنان إذا توفرت لديه أدلة، وتارة لا يدعية، وذلك عند ما تعوزه تلك الأدلة. ثم هو أحيانا يصرح بالاحتمال ويدرك وجوها محتملة مرجحا بعضها على بعض، وأحيانا يسكت عن التصريح أو عن الترجيح، وقد يبلغ به الأمر أن يعلن عجزه عن فهم كلمة أو جملة ويقول: رب الكلام أعلم

بمراده، على نحو ما نحفظه للكثير من المفسرين إذا عرضوا لمشابهات القرآن ولفواتح السور المعروفة.

والدليل على أن الترجمة تتضمن دعوى الاطمئنان إلى ما حوت من معان ومقاصد: أن الناس يحلون الترجمات محل أصولها، ويستغنوون بها عن تلك الأصول، بل قد ينسون هذه الأصول جملة. وهذا لا يمكن أن يقع مثله في التفسير، لأنه بيان لا يمكن أن يقوم مقام المبين، ولا يدعى فيه الاطمئنان إلى أنه واف بجميع أغراضه ومعانيه.

حكم ترجمة القرآن تفصيلا

ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى مستحيلة الوقع عادة وعقلا، ومحرمة شرعا، وفيما يلي أسباب استحالتها وبيان حرمتها:

أسباب استحالة الترجمة وبيان حرمتها

أ- أما كونها مستحيلة عادة وعقولا فالاستدلال على ذلك من طرفيين:

١ - لأن ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال، وكل ما يستلزم المحال محال. إذ لا بد في تحقيقها من الوفاء بجميع معاني القرآن الأولية والثانوية «١»، وبجميع مقاصده «٢»، كما في أسلوب علوم المعاني والبيان المتعددة المرامي، الفسيحة الميدان، والتي هي أساس بلاغته وإعجازه، وكل ذلك مفقود في غير العربية. وما كان لبشر أن يحيط بها فضلا عن أن يحاكيها في كلام له.

٢ - ولأن ترجمة القرآن بهذا المعنى مثل للقرآن، وكل مثل للقرآن مستحيل، وقد ثبت أن القرآن تحدي أفسح العرب أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، فعجزوا عن المعارضة

والمحاكاة، ولا شك أن غير العرب أشد عجزا وبعدا عن ذلك، قال تعالى: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبِعْضٍ ظَهِيرَاً [الإسراء: ٨٨].

ب- وأما كونها محرمة شرعا فلأمور التالية:

١ - إن طلب المستحيل العادي حرام أيا كان الطلب ولو بطريق الدعاء، وأيا كان هذا المستحيل ترجمة أو غير ترجمة، لأنه ضرب من العبث وتضييع للوقت والجهود في غير فائدة، والله سبحانه وتعالى يقول: وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلِكَةِ [البقرة: ١٩٥].

٢ - إن محاولة هذه الترجمة ادعاء لإمكان وجود مثل القرآن ...
وذلك تكذيب شنيع لقوله تعالى: **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ النِّاسُ وَالْجِنُّ**
[الإسراء: ٨٨] إلخ الآية.

٣ - إن الأمة قد أجمعت على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى،
والمعروف أن ترجمة القرآن بهذا المعنى العرفي تساوي روايته
بالمعنى، فكلتا هما صيغة مستقلة وافية بجميع معاني الأصل
ومقاصده، لا فرق بينهما إلا في القشرة اللفظية. فالرواية بالمعنى
لغتها لغة الأصل، وهذه الترجمة لغتها غير لغة الأصل. وإذا كانت
رواية القرآن بالمعنى في كلام عربي ممنوعة إجماعاً، فهذه
الترجمة ممنوعة كذلك قياساً على هذا المجمع عليه، بل أخرى
بالمخالفة لاختلاف بين لغتها ولغة الأصل.

٤ - إن الناس جمِيعاً مسلمين وغير مسلمين متفقون على أن
الأعلام لا يمكن ترجمتها، سواء كانت موضوعة لأشخاص أم لبلاد
أم لحيوان أم لكتب ومؤلفات.
والقرآن الكريم علم رباني أراد الله سبحانه وتعالى الفاظه دون غيرها،
وأساليبه دون سواها،

لتدل على هدایته، وليريد بها رسوله، وليرتعد بتلاوتها عباده.

حكم القراءة بما يزعم أنه ترجمة
اتفق كلُّ علماء الفقهاء على منع قراءة ترجمة القرآن بأي لغة كانت إذا
كانت هذه القراءة خارج الصلاة،

النتائج الخطيرة المترتبة على الترجمة

لقد أشرنا في بداية هذا البحث إلى أن الدعوة إلى ترجمة القرآن دعوة مشبوهة ومكيدة استعمارية ظاهرة، وعرضنا فيما سبق بالحججة والدليل استحالة وقوعها عقلاً، وحرمتها شرعاً، وعدم جواز القراءة بها في الصلاة أو خارجها. ومع ذلك فإن بعض من خدعوا بهذه الدعوة وتحمسوا لها وقع في ذهنهم أن لترجمة القرآن الكريم فائدة هي نشر دعوة الإسلام بين الشعوب غير العربية، ومعارضة ما ينشر في أوروبا- من ترجمات مليئة بالأخطاء الفاحشة صدرت عن جهالة أو على عمد- بنقل صحيح لمعاني القرآن الكريم، ورداً على هؤلاء المغرر بهم نسوق النتائج الخطيرة المترتبة على الترجمة وهي أخطار ثلاثة:

١ - خطر يحيق بالقرآن الكريم:

أ- إن محاولة ترجمة القرآن، تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم، مكتفين ببدل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن علماً عليها

٢ - خطر ينزل بالأمة الإسلامية:

أ- إن شعوب الأمة الإسلامية تجتمع حول رأية القرآن، فإذا قبلنا بفكرة الترجمة، كان معنى ذلك أن نوجد لكل شعب ترجمة بلسانها، وهذا يؤدي إلى الفرقة بين المسلمين ويضعف الروابط بينهم؛ والله سبحانه يقول:

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَرَقُّوا [آل عمران: ١٣٠].

ب- إن فتح هذا الباب يوجد في العالم ترجمات كثيرة لا حصر لها، وهي بالتأكيد مختلفة فيما بينها، وينشأ عن هذا الاختلاف في الترجمات خلاف بين المسلمين أشبه باختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، وهذا الخلاف يصدع بناء المسلمين، ويهدى لأعدائهم فرصة، ويوقظ بينهم فتنة عمياً.

٣ - خطر يحل باللغة العربية:

القرآن الكريم مذ سلطان اللغة العربية على منطقة من أوسع مناطق الدنيا واحتراق بها قارات ثلاثة هي: آسية وإفريقيا وأوروبا (الأندلس)، وجعل العربية هي اللغة العالمية المشتركة المنشودة، فكل مسلم يشعر أن العربية لغته لأن القرآن قد نزل بها.

ترجمة تفسير القرآن تغنى عن ترجمته المزعومة
وإذا كانت أمتنا مسؤولة عن تبليغ رسالة القرآن، وتوضيح مقاصده العظيمة وهدى القويم لكل الناس، مهما اختلفت ألسنتهم وتباعدت بلادهم، مع الحرص على صيانة القرآن من أي تحريف أو وهم يتسلل إليه من الترجمة، فإن ذلك تحقق بظهور ترجمات تفسير القرآن التي تغنى عن ترجمته المزعومة

المحاضرة السادسة

أسباب النزول

أولاً- معنى أسباب النزول:

لم يرتبط نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر معين، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يملك اختيار الوقت الذي ينزل فيه القرآن عليه، فذلك أمر مرتبط بمشيئة الله تعالى، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، فكان القرآن يتنزل عليه في الليل أو النهار، في السفر أو في الحضر، قائماً أو قاعداً، مائياً أو راكباً، من غير أن يكون له في ذلك رأي أو اختيار.

وكان نزول القرآن- مع ذلك- يواكب سير الدعوة، ويربى المؤمنين ويسدد خطواتهم، ومن ثم فإن نزول عدد من الآيات والسور ارتبط بأحداث معينة، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل من أصحابه أو من غيرهم. فربما أجاب من فوره، وربما انتظر نزول القرآن مبيناً الجواب، أو موضحاً الحكم، فإذا تأملت هذه الآيات الكريمة:

* يسئلونك عن الأهلة قل هي مواعيit للناس والحج (١٨٩) [البقرة].

يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقت من خير فللوالدين ... (٢١٥) [البقرة].

يسئلونك عن الساعة أين مرساها قل إنما علمها عند ربها (١٨٧) [الأعراف].

ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى (٨٥) [الإسراء].
إذا تأملت هذه الآيات أحسست أن نزولها ارتبط بسؤال، ومن الآيات ما
ارتبط نزوله بحادثة وقعت أو مشكلة ظهرت في المجتمع الإسلامي وقت
التنزيل.

وقد عبر السلف من الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من العلماء
والدارسين، عن ذلك السؤال وتلك الواقعة أو المشكلة التي تنزل عقبها
الآية أو الآيات بعبارة (سبب النزول) فيقولون: نزلت هذه الآية بسبب
كذا، وهذه الأسباب في الواقع «ما هي إلا مناسبات لا أسباب حقيقة، وإن
سميت أسبابا على طريق التسامح والتجوز» (١).

وقد قسم العلماء آيات القرآن بالنسبة إلى ارتباط نزولها بسؤال أو حادثة
على قسمين:

١ - قسم نزل ابتداء.

٢ - قسم نزل عقب حادثة أو سؤال (٢).

ويلاحظ أن القسم الأول الذي نزل ابتداء تتحدث أكثر آياته عن أمور
العقيدة ووصف مشاهد القيامة، ووصف الجنة ونعيمها والنار وأهواها،
وكذلك تتحدث عن أخبار الأمم الغابرة وما حل بأهلهما. أما القسم الثاني،
وهو ما نزل مرتبطا بأسباب ووقائع، فمعظم آياته مما يتعلق بالتشريع
والأحكام والآداب. وفي ارتباط نزول الآيات بمناسبة معينة، وهو ما
يسمى بأسباب النزول - حكمة تشريعية وتربيوية عظيمة، تجعل من الحكم
الذي تتضمنه تلك الآيات تجربة واقعية، وتطبيقا عمليا في المجتمع، يتم
تحت نظر النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهه، ويدرك حكمة التشريع
الذي تتضمنه تلك الآيات كل من كان شاهدا وقت نزولها، وكل من وقف

على تلك المناسبة وعرف قصتها، فنزول الحكم وقت الحاجة إليه يكون أبعد أثرا في نفوس المخاطبين، ويكونون أكثر استجابة له.

ثانيا- الطريق إلى معرفة أسباب النزول:

اعتنى المفسرون والمؤلفون في علوم القرآن ببيان أسباب النزول كثيرا، لكن تحديد سبب النزول ليس فيه مجال للرأي والاجتهاد، وإنما سببه سبيل الأحداث التاريخية، ومن ثم فإن لمعرفة سبب النزول طريق واحد هو النقل الصحيح عن الصحابة الذين عاصروا تنزيل القرآن وشاهدوا الأحداث التي وقعت حينذاك، يقول الواحدي: «ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا في علمها».

وقد جعل العلماء قول الصحابي في سبب النزول حجة ثابتة بمنزلة الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال الإمام الحاكم النيسابوري: «فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسنده»

وكان الصحابة، رضي الله عنهم، يذكرون أسباب النزول وينقلونها إلى التابعين، كما روى البخاري عن نافع مولى عبد الله بن عمر أنه قال: «كان ابن عمر، رضي الله عنهما، إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوما (أي: أمسكت المصحف، وهو يقرأ عن ظهر قلب) فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان قال: تدري فيم أنزلت؟ قلت: لا. قال: أنزلت في كذا وكذا، ثم مضى»

والروايات المنقولة في سبب النزول بعضها يصرح بأن الآية نزلت بسبب كذا، وبعضها يأتي بصيغة أن هذه الآية نزلت في كذا، أي يراد بها كذا. فمن

الأول ما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أنه قال: «بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث، وهو متكم على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فسألوه، فأنمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم إلا قليلاً (الإسراء ٨٥)» فهذا بيان صريح لسبب النزول.

ومن الثاني قول مجاهد في الآيات التي في أول سورة البقرة: «أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآياتان بعدها نزلت في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين، فهذا ليس بياناً لسبب النزول، وإنما هو توضيح للمعنى. فهو يريد أنها نزلت في نعم المؤمنين والكافرين والمنافقين».

ومن ذلك أيضاً قول الواحدي في حديثه عن سورة الفيل: «نزلت في قصة أصحاب الفيل، وقصدهم تخريب الكعبة، وما فعل الله بهم من إهلاكهم وصرفهم عن البيت، وهي معروفة».

فهذا ليس بياناً لسبب النزول، وقد علق السيوطي على قول الواحدي هذا بقوله: «والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء، بل هو من باب الإخبار عن الواقع الماضية».

وقد جمع العلماء الروايات المنقوله في أسباب النزول من كتب التفسير وكتب الحديث في مؤلفات مستقلة، وأول من صنف في هذا الموضوع علي بن عبد الله بن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ هـ، وأشهرها كتاب

(أسباب نزول القرآن) لعلي بن أحمد الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨ هـ، وأجمعها كتاب (باب النقول في أسباب النزول) لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ

ثالثاً- أهمية معرفة أسباب النزول:

لهذا النوع من البحث التأريخي في الآيات الكريمة أهمية كبيرة في تيسير فهم معناها واستبطاط الحكم الشرعي منها «لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سببها دون الوقوف على قضيتها وبيان سبب نزولها» ، فإن بعض من تلا هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (٩٣) [المائدة] ظن أن من كان كذلك جاز له أن يأكل ما يشاء، ويشرب ما يشاء، حتى ولو كان ذلك محرما. لكن الوقوف على مناسبة نزول هذه الآية يوضح حقيقة معناها، ومن يشملهم حكمها، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما أنه لما نزل تحريم الخمر قال بعض الصحابة: كيف لأصحابنا الذين ماتوا وكانوا يشربونها؟ قبل نزول التحريم طبعا، فنزلت هذه الآية ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... (٩٣).

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن حكم الآية التي تنزل بسبب سؤال من شخص معين، أو عقب حادثة تتعلق بشخص معين، يشمل الحالات التي تشبه حالة من نزلت الآية بسببه، وهو ما يعبرون عنه بعبارة (الأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب).

فمن ذلك قول الطبرى، بعد أن تحدث عن سبب نزول قوله تعالى: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ألم الكتاب وأخر ... (٧)

[آل عمران]، وهو: «وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ نَزَّلَتْ فِيمَنْ ذَكَرْنَاهُ أَنَّهَا نَزَّلَتْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ، فَإِنَّهُ مَعْنَى بِهَا كُلُّ مُبْتَدِعٍ فِي دِينِ اللَّهِ بَدْعَةً، فَمَا لِقَلْبِهِ إِلَيْهَا، تَأْوِيلًا مِنْهُ لِبَعْضِ مِتَّشَابِهِ آيَةِ الْقُرْآنِ وَوَرَدَ هَذَا الْمَعْنَى فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ رَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا افْتَرَفَ إِثْمًا، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ، فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفَيِ النَّهَارِ وَلِفَافًا مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبُنَّ إِلَيْهِنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) [هُودٌ]، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذِهِ؟ قَالَ: لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي. وَمَنْ ثُمَّ قَالَ الْعُلَمَاءُ: «وَقَدْ تَنْزَلَتِ الْآيَةُ فِي مَعْنَى، ثُمَّ يَكُونُ دَخْلًا فِي حُكْمِهَا كُلُّ مَا كَانَ فِي مَعْنَى مَا نَزَّلْتَ فِيهِ»

المحاضرة السابعة

جمع القرآن وترتيبه:

يطلق جمع القرآن ويراد به عند العلماء أحد معنيين.. المعنى الأولى: جمعه بمعنى حفظه، وجماع القرآن: حفاظه، وهذا المعنى هو الذي ورد في قوله تعالى في خطابه لنبيه -صلى الله عليه وسلم- وقد كان يحرك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا نزل عليه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي حرصا على أن يحفظه: {لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآن، فإذا قرأناه فاتبع قرآن، ثم إن علينا بيانه} ١، عن ابن عباس قال: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله: {لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآن} قال: يقول إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم نقرأه: {إذا قرأناه} يقول: إذا أزلناه عليك: {فاتبع قرآن} فاستمع له وأنصت {ثم إن علينا بيانه} أن نبينه بلسانك. وفي لفظ: علينا أن نقرأه، فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق -وفي لفظ: استمع- فإذا ذهب قرأه كما وعد الله ٢.

المعنى الثاني: جمع القرآن بمعنى كتابته كله، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط، وكل سورة، في صحيفة على حدة، أو مرتب الآيات

والسور في صحائف مجتمعة تضم السور جميعا وقد رتب إحداها بعد الأخرى.

١- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبي، صلى الله عليه وسلم:
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مولعاً بالوحى، يتربّى نزوله عليه بشوق، فيحفظه ويفهمه، مصداقاً لوعده: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقَرْآنَهُ} أول الحفاظ، ولصحابته فيه الأسوة الحسنة، شغفاً بأصل الدين ومصدر الرسالة، وقد نزل القرآن في بضع وعشرين سنة، فربما نزلت الآية المفردة، وربما نزلت آيات عدّة إلى عشر، وكلما نزلت آية حفظت في الصدور، ووعتها القلوب، والأمة العربية كانت بسجيتها قوية الذاكرة، تستعيض عن أميتها في كتابة أخبارها وأشعارها وأنسابها بسجل صدورها.

وقد أورد البخاري في صحيحه بثلاث روایات سبعة من الحفاظ، هم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء.

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: "سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب"، وهؤلاء الأربعة: اثنان من المهاجرين هما: عبد الله بن مسعود وسالم، واثنان من الأنصار هما: معاذ وأبي.

٢- وعن قتادة قال: "سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أربعة، كلهم من الأنصار: أبي

بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، قلت: من أبو زيد؟
قال: أحد عمومتي". ٢.

٣- وروي من طريق ثابت عن أنس كذلك قال: "مات النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد". ٣.

وأبو زيد المذكور في هذه الأحاديث جاء بيانه فيما نقله ابن حجر بإسناد على شرط البخاري عن أنس: أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه: قيس بن السكن، قال: وكان رجلاً منا من بنى عدي بن النجار أحد عمومتي، ومات ولم يدع عقباً ونحن ورثاه.

وبين ابن حجر في ترجمة سعيد بن عبيد أنه من الحفاظ، وأنه كان يلقب بالقارئ.

ونذكر هؤلاء الحفاظ السبعة. أو الثمانية، لا يعني الحصر، فإن النصوص الواردة في كتب السير والسنن تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن، ويحفظونه أزواجهم وأولادهم. ويقرؤون به في صلواتهم بجوف الليل، حتى يسمع لهم دوي كDOI النحل، وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يمر على بيوت الأنصار، ويستمع إلى ندى أصواتهم بالقراءة في بيوتهم، عن أبي موسى الأشعري: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: "لو رأيتك البارحة وأنا أستمع لقراءتك؟ لقد أعطيت مزماراً من مزامير داود". ٤.

وعن عبد الله بن عمرو قال: جمعت القرآن، فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "اقرأه في شهر

ب- جمع القرآن بمعنى كتابته على عهد الرسول، صلى الله عليه وسلم:

اتخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كتاباً للوحي من أجلاء الصحابة. كعلي، ومعاوية، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، تنزل الآية فيأمرهم بكتابتها، ويرشدهم إلى موضعها من سورتها، حتى تظاهر الكتابة في السطور، الجمع في الصدور.

كما كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن ابتداءً من أنفسهم، دون أن يأمرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فيخطوونه في العسب، واللخاف، والكرانيف، والرقاء، والأقتاب، وقطع الأديم، والأكتاف، عن زيد بن ثابت قال: "كنا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نؤلف القرآن من الرقاء".

وهذا يدل على مدى المشقة التي كان يتحملها الصحابة في كتابة القرآن، حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل، فأضافوا الكتابة إلى الحفظ. وكان جبريل يعارض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالقرآن كل سنة في ليالي رمضان، عن عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة".^٣

وكان الصحابة يعرضون على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة كذلك.

ولم تكن هذه الكتابة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- مجتمعة في مصحف عام، بل عند هذا ما ليس عند ذاك، وقد نقل العلماء أن نفراً منهم: علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود -قد جمعوا القرآن كله على عهد رسول الله

–صلى الله عليه وسلم– وذكر العلماء أن زيد بن ثابت كان عرضه متأخراً عن الجميع.

وقبض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– والقرآن محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف على نحو ما سبق، مفرق الآيات والسور، أو مرتب الآيات فقط وكل سورة في صحيفة على حدة، بالأحرف السبعة الواردة¹، ولم يجمع في مصحف عام، حيث كان الوحي يتنزل تباعاً فيحفظه القراء، ويكتب الكتبة، ولم تدع الحاجة إلى تدوينه في مصحف واحد، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يترقب نزول الوحي من حين لآخر، وقد يكون منه الناسخ لشيء نزل من قبل، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير –صلى الله عليه وسلم– إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا في سورة كذا، ولو جمع القرآن كله بين دفتري مصحف واحد لأدى هذا إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحي، قال الزركشي: "وإنما لم يكتب في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– مصحف لئلا يفضي إلى تغييره في كل وقت، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته، صلى الله عليه وسلم" وبهذا يفسر ما روي عن زيد بن ثابت، قال: "قبض النبي –صلى الله عليه وسلم– ولم يكن القرآن جمع في شيء" أي لم يكن جمع مرتب الآيات والسور في مصحف واحد، قال الخطابي: "إنما لم يجمع –صلى الله عليه وسلم– القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألم الله الخلفاء الراشدين ذلك، وفأء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر".

ويسمى هذا الجمع في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم: حظafa

١- جمع القرآن في عهد أبي بكر، رضي الله عنه:

قام أبو بكر بأمر الإسلام بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وواجهته أحداث جسام في ارتداد جمهرة العرب، فجهز الجيوش وأوفدتها لحروب المرتدين، وكانت غزوة أهل اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة تضم عدداً كبيراً من الصحابة القراء، فاستشهد في هذه الغزوة سبعون قارئاً من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب، ودخل على أبي بكر -رضي الله عنه- وأشار عليه بجمع القرآن وكتابته خشية الضياع، فإن القتل قد استحرر يوم اليمامة بالقراء -ويخشى إن استحر بهم في المواطن الأخرى أن يضيع القرآن وينسى، فنفر أبو بكر من هذه المقالة وكبر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وظل عمر يراوده حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته في القراءة والكتابة والفهم والعقل، وشهادته العرضة الأخيرة، وقص عليه قول عمر -فنفر زيد من ذلك كما نفر أبو بكر من قبل، وتراجعاً حتى طابت نفس زيد لكتابته، وبدأ زيد بن ثابت في مهمته الشاقة معتمداً على المحفوظ في صدور القراء، والمكتوب لدى الكتبة، وبقيت تلك الصحف عند أبي بكر، حتى إذا توفي سنة ثلث عشرة للهجرة صارت بعده إلى عمر، وظلت عنده حتى مات -ثم كانت عند حفصة ابنته صدراً من ولاية عثمان حتى طلبها عثمان من حفصة.

٢- جمع القرآن في عهد عثمان، رضي الله عنه:

اتسعت الفتوحات الإسلامية، وتفرق القراء في الأمصار، وأخذ أهل كل مصر عمن وفد إليهم قراءته، ووجوه القراءة التي يؤدون بها القرآن

مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها، فكانوا إذا ضمهم مجمع أو موطن من مواطن الغزو عجب البعض من وجوه هذا الاختلاف، وقد يقنع بأنها جمیعاً مسندة إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولكن هذا لا يحول دون تسرب الشك للناشرة التي لم تدرك الرسول، فيدور الكلام حول فصيحها وأفصحها، وذلك يؤدي إلى الملاحة إن استفاض أمره ومردوا عليه، ثم إلى اللجاج والتأثيم، وتلك فتنة لا بد لها من علاج.

فلما كانت غزوة "أرمينية" وغزوة "أذربيجان" من أهل العراق، كان فيمن غزاهما "حذيفة بن اليمان" فرأى اختلافاً كثيراً في وجوه القراءة، وبعض ذلك مشوب باللحن، مع إلف كل لقراءته، ووقفه عندها، ومماراته مخالفة لغيره، وتكفير بعضهم الآخر، حينئذ فزع إلى عثمان -رضي الله عنه- وأخبره بما رأى، وكان عثمان قد نمى إليه أن شيئاً من ذلك الخلاف يحدث لمن يقرئون الصبية، فينشأ هؤلاء وبينهم من الاختلاف ما بينهم، فأكبر الصحابة هذا الأمر مخافة أن ينجم عنه التحرير والتبديل، وأجمعوا أمرهم أن ينسخوا الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، ويجمعوا الناس عليها بالقراءات الثابتة على حرف واحد، فأرسل عثمان إلى حفصة، فأرسلت إليه بتلك الصحف، ثم أرسل إلى زيد بن ثابت الأنصاري، وإلى عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين، فأمرهم أن ينسخوها في المصحف، وأن يكتب ما اختلف فيه زيد مع رهط القرشيين الثلاثة بلسان قريش فإنه نزل بلسانهم.

عن أنس: "أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرج حذيفة اختلافهم في القراءة،

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

يتبيّن من النصوص أن جمع أبي بكر يختلف عن جمع عثمان في الбаعث والكيفية.

فالباعث لدى أبي بكر -رضي الله عنه- لجمع القرآن خشية ذهابه بذهاب حملته، حين استحر القتل بالقراءة.

والباعث لدى عثمان -رضي الله عنه- كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف في الأ MCSars وخطأ بعضهم بعضا.

وجمع أبي بكر للقرآن كان نقاً لما كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب. وجمعاً له في مصحف واحد مرتب الآيات والسور. مقتضاً على ما لم تنسخ تلاوته، مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

وجمع عثمان للقرآن كان نسخاً له على حرف واحد من الحروف السبعة، حتى يجمع المسلمين على مصحف واحد. وحرف واحد يقرءون به دون ما عداه من الأحرف الستة الأخرى. قال ابن التين وغيره: "الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان، أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد، فجمعه في صحائف، مرتبًا لآيات سوره على ما وفهم عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعضه، فخشى من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتاجاً أنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءته بلغة غيرهم رفعاً للحرج

والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة" وقال الحارث المحاسبي: "المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان، وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد، على اختيار وقع بينه وبين من شهد من المهاجرين والأنصار، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات، فأمّا قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن فأمّا السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق" ١.

وبهذا قطع عثمان دابر الفتنة، وحسم مادة الخلاف، وحصن القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة والتحريف على مر العصور وتعاقب الأزمان.

وقد اختلف العلماء في عدد المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الأفاق.

أ- فقيل: كان عددها سبعة. أرسلت إلى: مكة، والشام، والبصرة، والكوفة، واليمن، والبحرين، والمدينة. قال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: كتب سبعة مصحف، فأرسل إلى مكة، وإلى الشام، وإلى اليمن، وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدا.

أ- وفيل: كان عددها أربعة، العراقي، والشامي، والمصري، والمصحف الإمام، أو الكوفي، والبصري، والشامي، والمصحف الإمام. قال أبو عمرو الداني في المقنع: "أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعلها

ب- أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية واحدة: الكوفة، والبصرة، والشام، وترك واحداً عنده".

جـ- وقيل: كان عددها خمسة، وذهب السيوطي إلى أن هذا هو المشهور.

أما الصحف التي ردت إلى حفصة فقد ظلت عندها حتى مات. ثم غسلت غسلا ٢ وقيل أخذها مروان بن الحكم وأحرقها.

والمصاحف التي كتبها عثمان لا يكاد يوجد منها مصحف واحد اليوم. والذي يروى عن ابن كثير^٣ في كتابه "فضائل القرآن" أنه رأى واحداً منها بجامع دمشق بالشام، في رق يظنه من جلود الإبل، ويروى أن هذا المصحف الشامي نقل إلى إنجلترا بعد أن ظل في حوزة قياصرة الروس في دار الكتب في لينينград فترة، وقيل إنه احترق في مسجد دمشق سنة ١٣١ هجرية.

وجمع عثمان للقرآن هو المسمى بالجمع الثالث، وكان سنة ٢٥ هجرية

قسم الاديان المقارن

المرحلة الاولى / علوم قرآن

م.م. باسم محمد حسن

المحاضرة التاسعة

الفرق بين المحكم والمتشابه

الفرق بين المحكم والمتشابه:

أنزل الله الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، فرسم للخلق العقيدة السليمة والمبادئ القويمة في آيات بينات واضحة المعالم، وذلك من فضل الله على الناس حيث أحكم لهم أصول الدين لتسليم لهم عقائدهم ويتبين لهم الصراط المستقيم، وتلك الآيات هي أم الكتاب التي لا يقع الاختلاف في فهمها سلامة لوحدة الأمة الإسلامية وصيانة لكيانها {كتاب فصلت آياته قرآننا عربيا لقوم يعلمون}.

وقد تأتي هذه الأصول الدينية في أكثر من موضع بالقرآن مع اختلاف اللفظ والعبارة والأسلوب إلا أن معناها يكون واحدا، فيشبه بعضها الآخر ويوافقه معنى دون تناقض، أما ما عدا تلك الأصول من فروع الدين فإن في آياتها من العموم والاشتباه ما يفسح المجال أمام المجتهدين الراسخين في العلم، حتى يردوها إلى المحكم ببناء الفروع على الأصول، والجزئيات على الكليات وإن زاغت بها قلوب أصحاب الهوى وبهذا الإحكام في الأصول والعموم في الفروع كان الإسلام دين الإنسانية الخالد الذي يكفل لها خير الدنيا والآخرة على مر العصور والأزمان.

الإحکام العام والتشابه العام:

المحکم لغة: مأخذ من حکمت الدابة وأحکمت: بمعنى منع،

والحکم: هو الفصل بين الشیئین، فالحاکم یمنع الظالم ويفصل بين الخصمین، ويتميز بين الحق والباطل، والصدق والکذب، ويقال: حکمت السفیه وأحکمته: إذا خذت على يديه، وحکمت الدابة وأحکمته: إذا جعلت لها حکمة: وهي ما أحاط بالحنك من اللجام لأنها تمنع الكرس عن الاضطراب، ومنه الحکمة: لأنها تمنع صاحبها عما لا یلیق، وإحکام الشیء: إتقانه، والمحکم: المتقن.

فإحکام الكلام: إتقانه بتمیز الصدق من الكذب في أخباره، والرشد من الغی في أوامره، والمحکم منه: ما كان كذلك.

وقد وصف الله القرآن كله بأنه محکم على هذا المعنی فقال: {الر كتاب أحکمت آیاته ثم فصلت من لدن حکیم خبیر}، وقال: {الر تلك آیات الكتاب الحکیم} ٢ ، فالقرآن كله محکم: أي إنه کلام متقن فصیح یمیز بين الحق والباطل، والصدق والکذب. وهذا هو الإحکام العام.

والتشابه لغة: مأخذ من التشابه: وهو أن یشبه أحد الشیئین الآخر، والشبهة: هي ألا یتمیز أحد الشیئین من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنی، قال تعالى: {وأنوّا به متشابهاً}، أي یشبه بعضه بعضاً لوناً لا طعماً وحقيقة، وقيل: متماثلاً في الكلام والجودة.

وتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث یصدق بعضه بعضه، وقد وصف الله القرآن كله بأنه متشابه على هذا المعنی فقال: {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني} ٤ ، فالقرآن كله متشابه: أي إنه یشبه بعضه بعضه

في الكمال والجودة، ويصدق بعضه بعضا في المعنى ويمثله، وهذا هو التشابه العام.

وكل من المحكم والمتشابه بمعناه المطلق المتقدم لا ينافي الآخر، فالقرآن كله محكم بمعنى الإنقان، وهو متماثل يصدق بعضه بعضا، فإن الكلام المحكم المتقن تتفق معانيه وإن اختلفت ألفاظه، فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه

الإحکام الخاص والتشابه الخاص:

وهناك إحکام خاص وتشابه خاص ذكرهما الله في قوله: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ألم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيف فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا}، وفي معناهما وقع الاختلاف على أقوال أهمها:

أ- المحكم: ما عرف المراد منه. والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه.

ب- المحكم: ما لا يحتمل إلا وجها واحدا. والمتشابه: ما احتمل أوجهها.

ج- المحكم: ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان. والمتشابه: ما لا يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان بردءه إلى غيره.

ويمثلون للمحكم في القرآن بناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ووعده ووعيده. وللمتشابه: بمنسوخه وكيفيات أسماء الله وصفاته التي في قوله: {الرحمن على العرش استوى} ، قوله: {هو كل شيء هالك إلا وجهه}، قوله: {بيد الله فوق أيديهم} وقوله {وهو القاهر فوق عباده} ، قوله: {وجاء ربك} ، قوله: {وغضب الله عليهم} ، قوله: {رضي الله عنهم}، قوله: {فأتباعوني يحبكم الله} ، إلى غير ذلك، وأوائل السور المفتتحة بحروف المعجم وحقائق اليوم الآخر وعلم الساعة.

الاختلاف في معرفة المتشابه:

وكمما وقع الاختلاف في معنى كل من المحكم والمتشابه الخاصين وقع الاختلاف في إمكان معرفة المتشابه، ومنشأ هذا الاختلاف اختلافهم في الوقف في قوله تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} هل هو مبتدأ خبره {يقولون} والواو للاستئناف، والوقف على قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ؟ ، أو هو معطوف و {يقولون} حال، والوقف على قوله: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} .

فذهب إلى الأول "الاستئناف" طائفة منهم أبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، مستدلين بمثل ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أنه كان يقرأ: "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ" .

وبقراءة ابن مسعود: "وَإِنْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ" .

وبما دلت عليه الآية من نم متبني المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة.

المادة : علوم قرآن

مدرس المادة: م.م. باسم محمد حسن

قسم الاديان المقارنة

المحاضرة الخامسة

ترتيب القرآن حسب النزول (السور المكية والسور المدنية)

من المعروف أن ترتيب الآيات والسور في المصحف لم يعتمد على تاريخ نزولها، وإنما اعتمد على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءته للقرآن وتعليمه ذلك للصحابة. ولم يعد تاريخ نزول الآيات والسور محفوظاً على نحو مفصل، لأن الصحابة لم يعتنوا بهذا الجانب من تاريخ القرآن، وإنما كانت عنايتهم متوجهة إلى حفظه على نحو ما يقرؤه لهم النبي صلى الله عليه وسلم، لكن إشارات تاريخية ومعنوية ارتبط بها نزول آيات وسور من القرآن ظلت تشير إلى وقت نزولها ومكانه. واعتنى علماء القرآن من الصحابة والتابعين بحفظ تلك الإشارات والبناء عليها، حتى صارت علماً من علوم القرآن يسمى بعلم المكي والمدني.

١ - تعريف المكي والمدني من القرآن:

ناقش علماء القرآن تعريف المكي والمدني، واتخذ بعضهم زمان النزول أساساً للتعريف، وجعل تاريخ الهجرة حداً فاصلاً. واستند بعضهم إلى مكان النزول في صياغته للتعريف.

التعريف بحسب الزمان: **المكي هو ما نزل قبل الهجرة، والمدني**

هو ما نزل بعدها، سواء نزل بمكة أم بالمدينة، عام الفتح أو عام حجة الوداع، في سفر أو في حضر. وهذا هو التعريف المشهور في كتب علوم القرآن.

التعريف بحسب المكان: **المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة**

٢ - كيفية معرفة المكي والمدني:

لم يحدثنا التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أمر أصحابه بحفظ الآيات والسور على زمان النزول، وإنما تشير الروايات إلى أنه كان يحدد لهم مواضع الآيات من السور وقت التنزيل وعند كتابتها في الرقاع. ومن ثم فإن الصحابة كانت جهودهم متوجهة إلى حفظ القرآن مرتبًا على نحو ما يرتبه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن بقي في ذاكرتهم ما لاحظوه من مكان وزمان نزول كثير من الآيات وال سور، ونقل ذلك عنهم تلامذتهم من التابعين. قال القاضي أبو بكر الواقلناني: «إنما يرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة التابعين، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول، لأنه لم يؤمر به، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول»

ولاحظ العلماء أن معرفة المكي والمدني من سور القرآن يمكن أن يكون من طريقين: سماعي وقياسى.

فالسماعي: ما وصل إلينا الخبر بنزوله في مكة أو المدينة، قبل الهجرة أو بعدها، وكان عدد من الصحابة قد أبدوا اهتماماً بهذا الجانب من تاريخ القرآن، على نحو ما نقل ابن سعد عن عبد الله بن عباس أنه قال: «كنت ألم الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، فأسئلهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل من القرآن في ذلك. وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سرّ بإتياني لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً، وكان من الراسخين في العلم، عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة، وسائرها بمكة».

أما القياسي: فإنه يعتمد على جملة من الضوابط التي استخلصها العلماء من الروايات المنقولة عن عدد من الصحابة والتابعين في بيان خصائص **السور المكية والسور المدنية**، فمن تلك الروايات:

أ- عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: «كل شيء في القرآن يا أيها الناسُ أنزل بمكة، وكل شيء في القرآن يا أيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة» (٢). ولاحظ بعض العلماء أن (يا أيها الناس) منه مكي ومنه مدني وأكثره مكي (٣).

ب- عن عروة بن الزبير، قال: «ما كان من حد أو فريضة أنزلها الله عز وجل بالمدينة، وما كان من ذكر الأمم والقرون أنزل بمكة» (٤).

ج- قال المفسر محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ): «واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد، والرد على

المشركين، وفي قصص الأنبياء، وأن سور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى وذكر المنافقين، والفتوى في مسائل، وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وحيث ورد: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَهُوَ مَدْنِي، وَأَمَّا يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدْ وَقَعَ فِي الْمَكَى وَالْمَدْنِي» (١).

٣ - أهمية معرفة سور المكية والسور المدنية:

لهذا البحث التاريخي في تحديد وقت نزول سور القرآن فوائد يذكرها العلماء في مجال الدراسات القرآنية منها (٢):

أ- تتوقف معرفة الآيات الناسخة والمنسوخة على معرفة ما نزل أولاً، قال النحاس: «وإنما نذكر ما أنزل بمكة لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ، لأن الآية إذا كانت مكية، وكان فيها حكم، وكان في غيرها حكم غيره نزل بالمدينة، علم أن المدنية نسخت المكية» (٣).

ب- ساير نزول القرآن تاريخ الدعوة، وترتيب سور ترتيباً زمنياً يمكننا من تصور تاريخ السيرة تصوراً أكثر جلاءً ووضوحاً، في ضوء الآيات القرآنية الكريمة، والقرآن من هذه الناحية يعتبر المرجع الأصيل لدراسة السيرة النبوية.

ج- إن تتبع سور المكية والسور المدنية والنظر في موضوعاتهما وأسلوبها يكشف عن المنهج الذي رسمه القرآن للدعوة في مراحلها المختلفة، فكانت موضوعات سور المكية تتحدث عن قضية العقيدة

خاصة، وتعدّت صور عرضها، في أسلوب قوي مؤثر، لأنّه كان يخاطب أناساً غلب عليهم الشرك وفساد العقيدة، فلما استقرت العقيدة الصحيحة في قلوب الجماعة المؤمنة التي تكونت في المدينة عندها أنزل الله تعالى الفرائض والحدود في أسلوب متمهّل متسلّل يناسب مخاطبة القلوب المؤمنة.

٤ - تحديد سور المكية والسور المدنية وترتيبها:

لم يعد ممكناً ترتيب القرآن على تواريخ تنزلاته، لطول المدة التي نزل فيها وتعدد مرات نزول الوحي، وتتنوع الظروف التي ينزل فيها، وترتيب القرآن في سورة على نحو آخر غير ترتيب النزول، وقد سأله ابن سيرين عكرمة مولى ابن عباس: **أَلْفُوهُ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ؟** فقال عكرمة: لو اجتمعت الإنس والجنة على أن يُؤلفوا ذلك التأليف ما استطاعوا. لكن علماء القرآن من الصحابة والتابعين تمكنوا من تحديد سور المكية والسور المدنية وقد نقل المؤلفون في علوم القرآن عدداً من الروايات في ذكر سور المكية والمدنية، ويتحقق أكثرها على أن عدد سور المدنية ثمان وعشرون سورة، والمكية ست وثمانون سورة.